تولستوي

واخلاقه

لعلي أدهم

يسود عالم الاخلاق نوعان من الآداب ، آداب الارستقراطية وآداب الديمقراطية ، فالطموح وتراحي الآمال وجموح المطامع والكبرياء والجبروت وشدة الاعتداد بالنفس والميل الى العدوان وبسط النفوذ واستعمال القوة وأمثال ذلك من الصفات مرده الى آداب الارستقراطية أما الديمقراطية فمن شمائلها التواضع وخفض الجناح والقناعة والحلم و[illegible] العدالة والرأفة والحنان والميل الى التضحية ونكران الذات، وليست هناك حدود فاصلة بين هذين النوعين من الآداب ، فمن الناس من تغلب عليه آداب الارستقراطية ومنهم من لآداب الديمقراطية في نفسه المكان الاكبر والقسط الاوفر ، ومنهم من يلتقي في نفسه النوعان ويجتمع الضدان ، وفي بعض الازمنة تنتصر آداب الارستقراطية وفي أزمنة أخرى تفوز آداب الديمقراطية ، ومن الشعوب شعوب آداب الارستقراطية أشد تأصلاً في نفسها مثل العرب خاصة والاورومة السامية عامة ، ومنها شعوب آداب الديمقراطية أبين في اخلاقها وأعرق في طباعها مثل الشعب الروسي السلافي

***

وقد ظهر في القرن التاسع عشر — ذلك القرن الذي اشتد فيه الجدال بين المذاهب والمبادىء — مفكران كبيران لهما من صدق السريرة وعمق الروح وقوة الاحساس ونبوغ التفكير ما يسمو بهما عن مرتبة الفنانين والفلاسفة الى مستوى الرجال [illegible] وقد حمل هذان النبيان الجديدان رسالتهما الى العالم ولم يتلعثم لسانهما في تبليغها ولم يقصر بعضهما في نشرها ، فأحدهما — وهو نيتشه — يعد بحق نبي الارستقراطية ومطالب بحقوقها ورافع صوتها في العصور الحديثة، والآخر — وهو تولستوي — هو نبي الديمقراطية ومجدد عهد روسو وأقوى المدافعين عن آداب المسيحية معارضة وأجهرهم صوتاً

والاول من نبت المانيا المفكرة الفلسفية ، والثاني درج في روسيا الساذجة المتدينة ، ولم تنجح

الاول وجوده وسط أوربا المسيحية من ان يسدد سهامه الى صميم آداب المسيحية ويرسل عليها صواعق غضبه بلا رحمة وفي غير هوادة ، وكذلك تولستوي لم يمنعه وجوده في روسيا القيصرية من ان يرسل خطاباً الى القيصر نقولا عند تسنمه عرش الروسيا عقب مقتل القيصر اسكندر الثاني يناشده فيه ألاّ يبدأ حكمه بأعدام القتلة وازهاق الارواح ويلتمس العفو عنهم ، وساءه ان أهمل القيصر خطابه ولم يصغ الى رجائه . وقد تغنى نيتشه بأنشودة الانسان الاعلى وملأ بها المسامع ونقش عليها من خياله الخصب أبهج الالوان وأزهى الحلل واستنزف معين شاعريته في تجميلها وتزويقها ، واستنفد تولستوي براعته الفنية كلها في رواية « الحرب والسلام » تلك الرواية التاريخية العظيمة والمعجزة الفنية التي يضعها بعض كبار النقاد الى جانب الياذة هوميروس والتي تحمل في مطاويها فكرة ان الجماعات هي التي تلعب أكبر دور في تاريخ الانسانية وأعمالها الجسام لا الابطال والعظماء، وذلك لان الجماعات في رأيه هي التي تمت على يدها مختلف الاحداث في حرب سنة ١٨١٢ لا نابليون ولا غيره من العظماء البارزين في التاريخ

***

وليس من قذفات الصدف وغرائب الاتفاق ان أخرجت روسيا نبي الديمقراطية ورسول الحب والسلام في العصور الحديثة ، فان الادب الروسي معروف بانسانيته العالية وحفوله بكنوز الحب والعطف ، ولقد نبغ الروس النبوغ كله في الادب الروائي وسبقوا في مضماره سائر الامم ، ولم تخرج روسيا شاعراً عاماً يعبر عن خصائصها ومميزاتها مثل دانتي عند الايطاليين وشكسبير عند الانجليز وهوميروس عند اليونان وانما أخرجت طائفة من عبقري الروائيين ونوابغ القصصيين ، ولعل أقرب رجال الادب الروسي جميعاً الى تمثيل النفسية الروسية بمختلف ظلالها ومتنوع ألوانها هو كاتبها الكبير تولستوي ، فان انكبابه على المسائل الدينية وشدة تعلقه بالديمقراطية يمثلان فيه أعمق غرائز النفسية الروسية وألزم خصائصها ، فالروسي شديد التدين ولكنه بعيد عما يشوب العقائد والنحل من اسباب التعقيد وغريب التخريج وما ينشأ حولها من خفايا الصوفية وغرائب الاسرار ، وهو أميل الى البساطة في تدينه ، وهو بطبيعته نزاع الى الرحمة والعطف ، وحتى الشيطان في القصص الروسية موضع رحمة لانه وان كان عدو الانسان اللدود الذي لا ينفك يعمل على استغوائه وايقاعه في الشرك ولكنه لسوء حظه لا يتقن غير هذه المهنة ولا يعرف سواها وهي من اقدم العصور صناعته التي يجيدها ، فهم لاجل ذلك لا يحقدون عليه بل هو في عرفهم شيطان صالح لا بأس به ، والعادات الاشتراكية عميقة الجذور وشيجة الاصول في نفوسهم

وقد قال احد المفكرين « ليست العبقرية سوى التخصص الاتم من تأثيرات الزمن والآداب والوطن » وأرى في هذا الرأي شيئاً من المغالاة ، والاصح في اعتقادي ان في كل عبقري ناحيتين : ناحية انسانية عالمية وناحية أخرى قومية محلية ، وتولستوي مثال لذلك ، ففيه أطايب الانسانية العالية وهو من ناحية أخرى أنموذج تام للنفسية الروسية تلتقي فيه غرائزها الاصيلة وبواعثها المستحبة السيئة

***

وقد كانت المسائل الدينية ومشكلة الحياة والمبدأ والمصير تساور تولستوي من أوليات حياته الفكرية ، ولكن في بادىء الامر تغلب الفنان في نفسه على النبي والمصلح الديني ، وظل الفن له الاثر الاقوى في حياته حتى انتهائه من رواية « حنة كارنينا » فتبدل الحال واشتدت الازمة وعام الجو وتراجع الفنان الى المؤخرة ليفسح المجال للنبي القادم ، قال في اعترافاته يصف ذلك «لما أتممت كتابي « حنة كارنينا » بلغ بي اليأس اقصى حدوده ، وصرت أدمن التفكير وأطيل النظر في الحالة الرهيبة المحتواة التي ألمت بنفسي ، وكانت الاسئلة تتوالى عليّ وتتكاثر حولي وتطالبني بالاجابة عنها ، ومثلما تتجه الخطوط كلها الى ناحية واحدة كذلك كانت الاسئلة غير المجاوب عليها تتزاحم وتتدافع متجهة جميعها الى نقطة سوداء ، وبقيت مستمراً في تلك العقدة وقد استولى عليّ الخوف واستقل مشاعري الاحساس بالضعف ، وكنت ناهز الخمسين من عمري لما ساقتني هذه الاسئلة الى هذا الموقف الضنك غير المنتظر ، وانتهيت الى هذه النتيجة وهي اني — وأنا رجل سعيد موفور الصحة — لا املك البقاء ولا اقوى على العيش ، وقد كنت من الناحية البدنية استطيع ان اشتغل في حصاد الدريس كما يستطيع اي مزارع ، وكنت من الوجهة العقلية أستطيع ممارسة الاعمال الفكرية اكثر اليوم كما كنت ، دون أن يعتريني كلال أو مرض ، ولكني برغم ذلك كله انتهيت الى هذه النتيجة وهي اني لا أطيق البقاء ولم أر أمامي الا شيئاً واحداً وهو الموت ، وكنت ارى كل شيء آخر ما خلاه باطلا وعالاً زائلاً »

وأمثال هذه المواقف التي تربد فيها آفاق الفكر وتحلولك ليل النفس وتمور عليها الحياة وتفزع الى فكرة الموت معروفة في حياة الكثيرين من العظماء وأعالي البشرية ، وكأنها جسر قائم بين حياتين : حياة سابقة وحياة لاحقة ، وسرعان ما عبر تولستوي هذا الجسر ونجا من أخطاره وأهواله ، قال في اعترافاته وقد ظهر له أن المسائل التي أثارت هواجسه وهيجت بلابله قد أجابت عليها الانسانية من آلاف السنين اجابة شافية مقنعة « منذ بدأ الناس يعيشون عرفوا

معنى الحياة وحملوا الحياة حتى انتهت اليّ ، وكل ما في نفسي وكل ما حولي من منظور وغير منظور ثمرة تجاربهم ، وحتى الوسائل التي أحكم بها على الاشياء ورثتها عنهم ، وقد ولدت وربيت وترعرعت بفضلهم ، وقد حفروا ونقبوا على الحديد وراضوا الجبال والخيل ، وعلمونا كيف نفلح الارض وكيف نعيش جماعة ونظام الحياة ، وعلموني كيف أفكر وأعلل ، وجئت أخيراً وأنا ثمرة غرسهم ولم أحصل على قوتي إلاّ بأفكارهم أحاول أن أستعين بما أخذته عنهم من المنطق والدراية لأقيم لهم الدليل على سخافتهم وخطلهم ، من الواضح انني أستحق ما لا أحسن فهمه »

وأخذ يفكر بعد ذلك في معنى الله الذي قضى حياته باحثاً عنه ، ففي صباح يوم من أيام الربيع انطلق الى الغابة ليتملّى من جمال الطبيعة وسجع الاطيار الصادحة على زواهر الاغصان وليفكر في المسائل التي شغلت خواطره واستأثرت بنفسه في السنوات الثلاث الاخيرة وخاصة مسألة الله ، فأشرقت عليه فكرة ان مسألة الله ليست مسألة ليحكم فيها العقل ، وأحس بأن الله هو الحياة وأن نحيا هو ان نعرف الله

***

ومن ذلك الوقت لم يتطرق الى نفسه الشك بتاتاً ، وذهب بعد ذلك الى الكنيسة ولكنه لم يطمئن لتعاليمها ولم تعجبه مسيحيتها ، فأدار شراع خواطره الى الرياح وطافت سفينته ببحار هائجة ومرت بجزائر عجيبة ورأى من أعاجيب المذاهب الفلسفية وغرائب النحل والعقائد ما هو أبعث على الدهشة وأغرى بإثارة الظنون من البحار السبعة التي اجتازها « بلوقيا » على أقدامه وما حواه المفزعة التي خاض غمارها « جانشاه » في قصة الف ليلة ، وبعد أن طوف ما طوف رست سفينته في مرفأ المسيحية الخالصة المنقاة من شوائب الكنيسة والخالية من الحشو والزوائد مسيحية تولستوي التي فصّل الكلام عنها في كتبه الاخيرة ، ولكن أتظن الرجل بعد ان عاد من هذه الرحلة الشاقة الطويلة هدأت نفسه وقرت ثورته واستمرأ الراحة والصفو ؟ كلاّ وأنّى لمفكر كبير من طراز تولستوي أن يستريح في هذه الحياة التي كتب علينا فيها الجهاد والتعب غير أنه اجتنى مرة ثمرة الفكر انتصبت عليه فكرة أن هناك مجاهل لم تعرف ومشكلات عدة لم تحل عقدتها ، فكيف الراحة والطمأنينة ونحن نسعى في مناكب المجهول والكمال البعيد أمامنا ؟ والراحة في هذه الحياة سراب لاح لبعض الانسانية بريقها وفجر كاذب يخدعها بضوئه ويقذف بها في أقاليم أشد ظلاماً ، وليست الراحة غرض الحياة وانما غايتها نشدان الكمال الادبي والفكري

وقد نستريح اذا بلغنا الكمال ، ولكن أين منا الكمال ونحن أفراد زائلون ننشد عملاً سرمدياً !

كذلك تولستوي من بعد عودته من سياحته الفكرية أخذ يدمدم في نفسه لهيب ثورة داخلية لم تنطفئ نيرانها وتهدأ ثائرتها الا بموته ، وبواعث هذه الثورة العنيفة والمأساة المدمية للقلوب هي عجزه عن تنفيذ ما كان يبشر به ويتمثله في ان يعيش في ظلال تعاليمه ومبادئه الجديدة ، وكان شعوره بهذا التناقض بين أفكاره وأسلوب حياته هو الطير الجارح الذي لا ينفك ينقر وجه هذا « البروميثيوس » المقيد بالأغلال والسلاسل ، ولم يستتر مرة عنه الشعور بهذا التناقض الرهيب بل كان على الدوام ماثلاً لناظره كما يتبع القاتل خيال القتيل ، ولم يذهب وقره عن ضميره الفاحص الملهم وعينه الداخلية الواعية ، وكان يقض مضجعه في هدأة الليل ويجثم على نفسه في أطراف النهار ، وغير تولستوي قد يقنع بالتبشير بما يعتقده حقاً دون أن تتجاوب حياته مع تعاليمه ، وقد يكون من الصعب ان تتصور آلام هذا الضمير الحي وكمد هذه النفس اليقظة ، وقد كان تولستوي يعيش عيشة زهادة وخشونة لا من دافع طبيعي — فقد كان بفطرته ابيقوري النزعة شهواني المزاج — ولكن بمجهود غير قليل من ارادته الصارمة ، وكان يخفض جناح الرحمة لمن حوله ويسقيهم من اخلاقه الشريفة العذب النمير ، ولكن ضميره لم يقنع بهذا ولم يرض الوقوف عند هذا الحد لانه كان يطالبه ويلح عليه في أن يعيش عيشة طاهرة الى اقصى حدودها وأبعد نهاياتها ، وكان يعرف الى اي حد قد فشل في تحقيق مثله الاعلى ، وطالما لفحته هذه المعرفة بشواظ من النار وجرته على مثل شوك القتاد ، وكانت فكرة ثروته الضخمة المتراكمة في المصارف وضياعه الواسعة التي تغل عليه الاموال الطائلة وهو الذي يمجد الفقر ويدعو الى المساواة ويرفع فسطاط العدالة تتبعه في كل مكان وتطارده في كل لحظة وتذكره بنصيحة السيد المسيح لاحد تلامذته بأنه اذا أراد ان يتبعه وينتظم في سلك تلامذته فعليه أولاً أن يبدأ بتوزيع امواله بين الفقراء ، اما تولستوي المكروب الحزين فكان يمشي وراء المسيح مثقلاً بمحمول الثروة ويأمر غيره دون ان يبدأ بنفسه ويقف امام الانسانية والتاريخ هذا الموقف المتناقض الغريب وما أشد وقع ذلك على نفس تولستوي النبيلة الحساسة !

وقد نتساءل هنا هل كان تولستوي حقيقة حريصاً على الدنيا متهالكاً عليها ، يبشر بما يراه حقاً مع الاحتفاظ بثروته ، ويقول مع صاحبه الفيلسوف شوبنهاور « ان الذي يرسم الصورة الجميلة لا يشترط أن يكون هو أيضاً جميلاً » ، ويسلك مسلك المتنبي الشاعر في امتداح الجود والكرم مع شدة الحرص والبخل ؟ والجواب عن هذا التساؤل ان الرجل لم يكن شيئاً من ذلك ، وكان مخلصاً في دعوته اخلاصاً لا تشوبه شائبة ، ولم يمنعه من أن يبدأ بنفسه في اتباع تعاليمه سوى زوجته

وباقي أفراد أسرته ، وكانت أسرته قانعة بأن ترى اسمه قد طبق الارض وان تشاهد الوفود تحج اليه من أقاصي البلاد ولا تود أن تفقد ثروتها وضياعها لأجل ألاّ يقع التناقض بين مذهبه وحياته ، ولم يستطع تولستوي ان يكسر أغلاله الثقيلة وعاش أسيراً لسلطتها ، وكانت أشد أفراد الاسرة قسوة عليه ومقاومة لتنفيذ تعاليمه زوجته ، ولست أحب أن ألوم تولستوي وأعنفه لهذا الضعف والتخاذل فقد قاسى ما قاسى من وخز الضمير والألم المبرح ، وقد حاول في آخر سني حياته أن يهرب من أسرته ولكنه لم ينفذ الفكرة . وكتب الى صديق له ما ينم على السبب الحقيقي لذلك قال : «لقد تركت فكرة الفرار لأنه خطر بفكري ان صوفيا اندريفنا (زوجته) لابد ان تكرهني بعد ذلك ويصير كل شيء أسوأ مما كان» وهنا نقف امام عاطفة سامية من العواطف الانسانية التي [illegible] في وصفها ونغض من جلالها . على انه فر من منزله بعد ذلك لحادثة نضرب عن ذكرها وأراد ان يلاقي الموت منفرداً مع خالقه ، ولكن لم تتحقق امنيته اذ لحقته اسرته حيث كان يسلم الروح في غرفة حقيرة باحدى محطات السكة الحديد ويصعد ليتبوأ مكانه في ملكوت الخالدين

***

وسأعرض على القارئ طائفة صغيرة من أحاديثه وهي على قلتها صحيحة الاسناد وقد تكون فواصل الحادثات أدل على الرجال وأهدى الى تفرسهم من محتويات الاسفار

كان تولستوي يحب من المؤلفين الروس الشاعر بوشكن ولرمنتوف وجوجل وتشيكوف ودستويفسكي . قال عن الاخير : «عندما نختبره عن قرب نرى انه يكتب بأسلوب رديء وتنقصه القوة الفنية [illegible] مدلته وما أكثر ما يقوله لنا» . وقال عن ترجنيف الروائي الروسي الشهير [illegible] يستحق [illegible] ولكني لا أضعه في مكانة عالية بين الكتاب» . وكان [illegible] الانكليز [illegible] الذين لا نظير لهم أقارن فرنسا ، وفي وقت ذيوع شهرة برنارد شو كان تولستوي [illegible] وذلك رغم اعجاب برنارد شو الشديد [illegible] أحد أصدقائه «لقد استدعت برنارد شو وقال في مقدمة مؤلفاته العلمية ان رواية [illegible] هي أعظم دراما في الدنيا» فضحك تولستوي مستهزئاً وقال له «اذا كانت كذلك فلماذا لم يقلدها ويضرب على غرارها ؟» وسأله مرة أحد الناس «هل قرأت [illegible] (من روايات برنارد شو) فأجابه «ولم أقرؤها ؟ هل اقترفت اثماً ؟»

وكان [illegible] الأدب أشد المقت ويثير غضبه إذا ذكر ذلك بحضرته قال مرة «ينبغي [illegible] ألا يكتب الا اذا ترك بضعة من لحمه في الدواة كلما غمس فيها القلم»

وقال عن المرأة « النساء على العموم شريرات الى حد ان الفرق ضئيل بين المرأة الصالحة والمرأة السوء »

وجذب مرة صديقه جولد نوايزر من ذراعه وهو يودعه — وهو الذي أروي عنه هذه الاحاديث — وقال له هذه النصيحة الغالية « إني أريد ان أقول لك انهُ مهما عظمت مواهبك الموسيقية ومهما كان الوقت والمجهود الذي ضحيت به لهذا الفن فتذكر ان أهم شيء هو ان تكون رجلاً ، ومن اللازم ان تجعل دائماً نصب عينك ان الفن ليس كل شيء ، وفي علاقتك بالغير أبذل جهدك في ان تقدم لهم أكثر مما في طاقتك وان تأخذ منهم اقل ما يمكن اخذه ، وأرجوك معذرة لهذا القول »

وقال له مرة ان « الانا » شيء زمني ضد جوهرنا الخالد وأرى ان الاعتقاد بخلود النفس يدل على نقص في الفهم »

وفي بعض الاوقات كانت تغلب عليه السوداء فيأس من الدنيا وصلاحها ، وقال مرة وقد اعترته احدى هذه الحالات « ان خطأ الثائرين الرئيسي هو اعتقادهم اننا نستطيع ان نسيطر على الحياة الانسانية ونخضعها للنظام »

وقال مرة أخرى « تمر بي اوقات يتصر نفسي فيها اليأس من كل ما يحدث في الدنيا وأعجب كيف استطاع الناس ان يحتملوا الحياة مع توالي تلك الكوارث والفظائع ، وطالما حزنني وحيرني تقويمنا الانسان بأضأل القيم حتى لو اعتبرناه مجرد حيوان نافع ، والحصان الذي يجر العربة يساوي قيمة معينة في نظرنا ونحن ندفعها عن طيبة خاطر ، ولكن الانسان يستطيع مثلاً ان يصنع احذية وأن يعمل في احد المصانع ويحترف شغل البناء ، ولكن مع ذلك كله فنحن نخسر في الآلاف من البشر نقضي عليهم دون ان يكون هناك ما يستدعي ذلك ، واتذكر اني عندما كنت شاباً كنت اغضب وأتهم الحكومة بالتقصير اذا بلغت نسبة الوفيات خمسة في المائة ، ومع ذلك فنحن في الآلاف من البشر تزهق ارواحهم بدون مبرر ولا ضرورة »

***

والمرأة في رأيه « تعاكس وتعرقل قانون التقدم ، وهي تقاوم الرجل وتعارضه معارضة شديدة اذا حاول ان يتخلص من بين أظلال حياته السالفة وأنقاضها العظيمة الى حياة جديدة أرقى منها ، وهي المرأة ثانية محزنة ترتكب أكبر الفظائع باسم الحب »

وقال مرة لاحد اصدقائه « ان أسعد أيام حياتي هو اليوم الذي أعلم فيه أني فقدت ثروتي وكل ما تملك يدي »

ولم يكن مسيح تولستوي هو إله الشدة والعنف وإنما كان إله الحب والعطف ، مسيح عظة الجبل . ولقد حدث مرة أن شقيقته ماريا نيكوليفنا عارضت فكرة أن رحمة الله تتسع للخير والشرير ، وبعد أن أصغى إليها تولستوي طويلاً في صبر وأناة قال لها في لطف ورقة « اتقي الآن في تفكيرك ، أن الفرق بين حياة أكثر الناس تقوى وصلاحاً وحياة أشدهم شراً وخطيئة فرق طفيف جداً بالنسبة لكمال الله ، وكيف أسلم بأن الله وهو ليس سوى الحب يمكن أن يكون منتقماً جباراً وينزل بالناس صارم العقاب وشديد العذاب »

فأجابته « ولكن أفرض أن بعض الناس عاش طوال حياته في الخطيئة ومات بدون ندم »

فقال لها تولستوي « أي الرجال يريد أن يكون شريراً لا أمل في صلاحه ؟ أن الرجل الذي نحكم عليه بأنه شرير شقي منكود الحظ ينبغي أن نحبه ونرثي له لا نلومه ، وليس هناك أحد يود أن يكون شريراً ، فالشرير إنما نرثي له لأنه لا يبصر الحق »

وكان « الله الحب » هذا يغمر قلب تولستوي بشعور قوي نحو الطبيعة ويوحي له بكلمات من أسطع حكمه وأبهر آياته ، قال في بعض أقواله المبثوث فيها شيء من هذا الشعور « كل ما في الوجود نابض بالحياة وما نراه ميتاً يظهر لنا كذلك لأنه إما أن يكون جد كبير على الفهم أو جد صغير ضئيل ، ونحن لا نرى الميكروبات والجراثيم فنحسبها غير حية وكذلك الكواكب تتراءى لنا مسلوبة الحياة لنفس السبب الذي نبدو فيه نحن للنمال غير أحياء ، ولا نزاع في أن الأرض خافقة بالحياة وأن الحجر الملقى على الثرى هو بمثابة الظفر من الأصبع ، والماديون يجعلون المادة أساس الحياة ، وكل النظريات عن أصل الأنواع والذرات ومادة الحياة لها قيمتها إلى الحد الذي تمكننا به من فهم القوانين المسيطرة على الطبيعة وتكشف لنا عن كنهها ولكن علينا ألا ننسى أنها غير فروض وليست أكثر من ذلك . والفلكيون يفرضون لأجل أن يتم حسابهم ويتسق تفكيرهم أن الأرض ثابتة ، وكذلك الماديون يبدأون من مقدمة غير صحيحة ولكنهم لا يعترفون بذلك ولا يريدون محاولة حل مشكلاتهم على أساس صادق صحيح ، ومذهبهم في الحقيقة أشد المذاهب إمعاناً في الغرابة ، ذلك لأنه يفرض مادة عجيبة الشأن تخلق كل شيء من ذاتها وفي أساس كل شيء توجد مادة هي شيء لا يتيسر لنا أن نبصره كاللاهوت نفسه »

***

ولقد كان في نية تولستوي أن يتبسط في شرح هذه الفكرة ويفصل منها ما أجمله في حديثه بكتاب خاص فأعجله عن ذلك الموت الذي يلهو بالمخلوقات ، ويعصف بالأحياء ، فذهب وفي نفسه مناه